Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 04، ديسمبر 2023، صص: 49 - 70

تاريخ الاستلام(2023/01/03)تاريخ القبول (2023/12/29)تاريخ النشر (2023/12/31)

شروط تلقي الخطاب القرآني ومقولات التفكيك

Conditions for Receiving the Qur'anic Discourse and the Deconstruction categories

عائشة بومهراز

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل(الجزائر)،aicha.boumehraz@univ-jijel.dz

ملخص:

يحضر النص القرآني دومًا بصفته نصًا إلهيًا/ متفردًا، تحكمه ضوابط وشروط لا يمكن للمتعامل معه أن يغفلها، وفي ضوء هذه الخصوصية التي ميزّت نص الوحي، والشروط والضوابط التي تحكمه، برزت إشكالية توظيف المناهج أو المقاربات النقدية في قراءة هذا النص القرآني، ومدى إمكانية مقاربته وفق مقاربات نقدية معاصرة لا تعترف بأية حقيقة مهما كانت، بل إنّها تحاول الوصول إلى عالم بلا أصل رباني، عالم سائل لا مركز له، ونقصد هنا تحديدًا، المقاربة التفكيكية باعتبارها مقاربة غربية، تؤمن بالعدمية، وتُنادي باللامعنى واللامرجع.واختيارنا في هذا المقام جاء للبحث عن مدى إمكانية انفتاح الخطاب القرآني أمام استراتيجية التفكيك ومقولاتها.فهل تمتلك هذه الاخيرة شرعية الاقتراب من هذا النص ومقاربته؟.

كلمات مفتاحية: تلقي، خطاب، القرآن الكريم، مقولات التفكيك، الدلالة.

Summary:

The Quranic text always presents itself as a divine and unique text, governed by rules and conditions that cannot be overlooked by anyone dealing with it. In the light of this distinctive nature that characterizes the text of revelation, along with the terms and regulations that govern it, the issue of employing critical methods or approaches in interpreting this Quranic text has emerged. The question arises as to the possibility of

المؤلف المرسل:عائشة بومهراز، الإيميل:aicha.boumehraz@univ-jijel.dz

approaching it according to contemporary critical approaches that do not recognize any truth, whatever it might be, but rather seek to reach a world without a divine origin, a fluid world without a center. Specifically, we refer here to the deconstructive approach as a Western approach that believes in nihilism and advocates for meaninglessness and lack of reference. Our choice in this context is to explore the extent to which the Quranic discourse can be open to the strategy of deconstruction and its categories. Does the latter have the legitimacy to approach and interpret this text?"
Keywords: Condition; receiving; discourse; the Holy Qur'an; deconstruction categories; significance

1. مقدمة:

يحوي النص القرآني حقائق وبنيات عقائدية وتشريعية ثابتة، من المستحيل الطعن فيها، لقدسيتها الربانية، وما جاء في القرآن الكريم بوصفه نصًا إلهيًا، ثابت ومحكم لا يمكن التشكيك فيه، والأكيد إن الحديث عن النص القرآني ليس كالحديث عن بقية النصوص البشرية مهما تفردت هذه الأخيرة وتميزّت، ويبقى التعامل معه، قراءة وفهمًا وتدبرًا، ومن ثم تفسيرًا وتأويلًا ليس كأي تعامل، فهناك دومًا، جملة من الشروط التي لا يمكن للمتعامل معه أن يغفلها نظرًا لطبيعته القدسية واختلافه وانفتاحه، هو نص غير قابل للاحتواء على مرّ العصور، نص تحدى ولا زال يتحدى العقول والأفهام على اختلاف الأزمنة وتباين الأمكنة.

وإذا كان النص القرآني، قد أكدّ استجابته لحضور القارئ عبر مختلف الأزمنة، فهذا يعني إمكانية إخضاعه للتجربة التأويلية باستمرار، ووضعه موضع حفر وبحث على مرّ الزمن، لكن يظهر أن الأمر ليس باليسير، فالتعاطي مع هذا النص- كما أشرنا سابقًا- ليس كأي تعاط نظرًا لخصوصيته وتفرده.

وهنا تصبح القضية متعلقة في الحقيقة بمدى إمكانية انفتاح نص التنزيل على نص التأويل.

فهل يقبل هذا النص بكل القراءات مهما كانت منطلقاتها وتوجهاتها أم إن قراءته تبقى محكومة ببعض الضوابط التي من شأنها أن تحفظ له قدسيته وأبديته في الآن نفسه؟.

وتحديدًا ترى هل تقبل خصوصية النص القرآني بقراءة تفكيكية تبدو منطلقاتها بعيدة كل البعد عنه؟.

أحقا يمكن التعامل مع النص القرآني، بعيدا عن أيّ سلطة مرجعية مهما كانت (صاحبه، مقصديته، ثوابته، رواسخه، مركزيته) فيكون الشك واللايقين هو الحقيقة

الوحيدة المطلقة، ويصبح لا وجود لأي شيء خارج إطار لغته، ومن ثم خارج النص، لأن اللغة قد فقدت كل وظائفها العقلية والمعرفية و الإبلاغية ؟.

سنحاول في هذه الورقة البحثية - في ضوء المعطيات المطروحة- وانطلاقا من الاستعانة بالقراءة التأويلية وآليات الوصف والتحليل، الإجابة على الإشكالات التي يطرحها موضوع الدراسة .

2. الضوابط التأويلية للنص القرآني :

إن الخوض في مسألة كهذه، مسألة تخص نص الوحي/ نص التنزيل في مقابل النص البشري/نص التأويل يبدو صعبًا ومحرجًا في الآن نفسه، لاسيما إذا تعلق الأمر بهذه الاستراتيجية بالذات -استراتيجية التفكيك- والتي نشأت في تربة غير تربتنا، فجاءت بمفاهيم ومنطلقات تبدو أنها غير بريئة، أو على الأقل تبدو مناقضة مخالفة لمنطلقاتنا ومعتقداتنا، وعليه لا بد للمتعامل مع هذا النص، أن يكون مدركًا لخصوصيته وإلهيته، واعيًا باختلافه ومغايرته، مستوعبًا لشروط قراءته وضوابطها، «ولقد حكَمت قراءة نص الوحي نفسها بمجموعة من الضوابط والمقتضيات، حتى لايشتطَّ هذا القارئ، ولا يتطرف، منساقًا مع الهوى والتشهي أو راكنًا إلى التساهل»[1].لأن القضية قضية نص الوحي لا قضية نص أدبي، وستحاول الدراسة من خلال هذا العنصر رصد خصوصية النص القرآني، انطلاقا من التوقف عند أهم سيماته (النص القرآني باعتباره نص الاختلاف والمغايرة - النص القرآني /الوظيفة الإبلاغية والمقاصد -النص القرآني وقضية الانسجام والتجانس)

1.2النص القرآني نص المغايرة والاختلاف :

ونحن نلتفت إلى النص القرآني بوصفه نصًا مختلفًا مغايرًا، واصفين إياه بالكمال والإعجاز والتفرد ، نشير بداية إلى أن طريقة القراءة تختلف تبعا لاختلاف طبيعة النص المقروء، فقراءة نص فلسفي غير قراءة نص أدبي، أو نص ديني، أو نص ميثافيزيقي، كما أن قراءة قارئ فلسفي عدمي، تختلف بالضرورة عن طريقة قارئ يخالفه التصورات والمنطلقات، ولما كان الأمر هكذا، فماذا عن نص ديني أثبت اختلافه وتميزه من كل النصوص، لا بل حتى على مستوى النصوص التي هي من جنسه- النصوص الدينية الأخرى- ؟.إن النص القرآني كلام الله وهو مبرأ من الخطأ والزلل، إنه المعجزة الخالدة والحجة البالغة، ولقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فتحداهم جميعًا بأن يأتوا بمثلة، قال سبحانه وتعالى:(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) [الإسراء،88] ، وهم أهل البلاغة والفصاحة والبيان إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، ووقفوا حائرين أمام جمال أسلوبه وروعته، وعليه، من المؤكد أن هذا النص المتفرد يستدعي معيارًا متميزًا يحفظ له اختلافه وخصوصيته وضوابطه، « ويجب على كل قراءة تتجه نحوه، من أجل استنطاقه واستنباط معانيه، ودلالاته وأحكامه، أن تملك الشروط الضرورية لمراقبة هذا الاستنباط، أي لمراقبة نفسها، حتى لا تسقط فيما سقط فيه غيرها، من الاعتباطية أو التعطيل لمقاصد صاحب الوحي وأحكامه »[2].لأن الأمر متعلق بنص تشريعي بامتياز،إنَّه كلام الله الموجه إلى البشرية جمعاء على اختلاف الألسنة والأزمنة والأجناس

2.2 النص القر آني/ الوظيفةالإبلاغية والمقاصد:

لقد جاء النص الإلهي/ نص الوحي برسالته الإبلاغية إلى الناس جميعًا، ومن ثم وضع نفسه في قلب التواصل اللساني، فهو يحتوي بالإضافة إلى خالقه/ مبدعه عنصرًا آخر، لا يقوم التواصل اللساني إلا بحضوره، ولن ينهض هذا النص بوظيفته التواصلية إلا بوجوده، هذا العنصر أو الطرف، نقصد به المتلقي/ القارئ الذي سوف يسعى ويجتهد قدر ما شاء له الله أن يجتهد، للكشف عن بعض معانيه وحقائقه المتعددة/ اللامتناهية، كما أنه سوف يركز اهتمامه على استنباط مختلف الأحكام والشرائع التي بثها فيه الحق سبحانه وتعالى صاحب الخطاب، والتي من خلالها يستقيم شأن الإنسانية في الكون،«إن النص وسط لحوار متبادل بينه وبين قارئه لاكتشاف رسالة سامية، بعثها صاحب الخطاب والمتكلم به، وفق قواعد تحدد شروطه، ومؤشرات، ضمنها هذا النص من أجل قراءته القراءة المرادة من قبله، والكفيلة وحدها باستخراج المقاصد المبثوثة فيه »[3].والواقع، «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: أحدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيه» [4].هذا الاستنباط والكشف لمختلف الشرائع والحقائق، يكون انطلاقا من دخول القارئ/ الناقد في علاقة تفاعل وألفة مع نص الوحي، حتى يتحقق في النهاية، الفهم والإدراك لبعض معانيه ومقاصده كما أرادها الله عز وجل في نصه،« إنه تفاعل بين النص والقارئ توجهه عقدة وميثاق أرسى النص أركانها ضمن مسلك الفهم والإفهام ».[5] ويظهر أن خصوصية نص التنزيل، الذي يقدم نفسه بصفته خطابًا مختلفًا/ مغايراً، قد فرضت طريقة متميزة في القراءة، تنطلق من مراعاة هذه الخصوصية والالتزام بالمسلمات التي نص عليها «لأن النص الإلهي ونتيجة لطبيعة أصله المقدس، ونتيجة لمقصده

الكلي بوصفه نصًا جاء لهداية الناس بإخراجهم من سلطة الهوى إلى سلطة الشرع لايسمح بأي قراءة تسير في عكس هذا الاتجاه أو تضاده . ».[6]

ونجد أهم الفعاليات الإسلامية على اختلاف توجهاتها، كان هدفها الأساسي في تعاملها مع نص الوحي، هو الوصول إلى مقصد الشارع المتكلم بالقرآن، وإذا كان من الممكن إخضاع نص التنزيل لنص التأويل عبر كل الأزمنة، فهذا لن يُخوّل للقارئ إدخال أشياء من عندياته، كما لا يملك الحق في إبعاد مرسله والقول بموته، فهذا مستحيل«لأن عدم احترام النص بعدم اعتبار رصيده اللسني والثقافي والركون إلى حرية القارئ المطلقة...إلى الحد الذي تصبح فيه كل التأويلات الممكنة مسموحا بها،لا يؤدي إلى التشكيك في هذه التأويلات الناتجة عن هذا النوع من الممارسة، ولكن إلى التشكيك في طبيعة الدلالة ذاتها ».[7]حيث تصبح هذه الأخيرة، مفرغة من أي محتوي يمكن الاعتماد عليه بصفته أساسًا أو مرجعًا، لهذا يجب أن تبقى القراءة متعلقة بما أراده الله عز وجل وما قصده من مقاصد، فالأصل في الخطاب القرآني هو الإبانة والإفصاح عن المقاصد وإفهام الناس، وهذا ما جعل لغته مهما سمت درجة الابتكار فيها مشدودة إلى ما توحي به أو تدل عليه في أصل الوضع شدا، وقد جاء النص القرآني حافلا بالنصوص الدالة على مقاصد واضحة وحقائق بثها الشارع فيه، منها قوله عز وجل في القصاص:(وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونْ)[البقرة ،178] وقوله تبارك وتعالى في فضل الصلاة:(وَأَقِمِ الْصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ)[العنكبوت،45] ومهما تعددت القراءات والتأويلات، يبقى الأصل في وجود دلائل وحقائق مثبتة، كما يبقى الأصل في وجود تلك العلاقة المجازية بين الخالق عز وجل والكون قائما بذاته، إنه باعتباره خطابًا تبقى له مقاصده التي تحول دون إلغاء وظيفة الإفهام والمنفعة، لأنه أولا وقبل كل شيء، هو نص تشريعي لا يتجسد إلا بالتكليف والممارسة، كما يبقى البحث عن دلالاته وإعجازه متواصلاً، «هو مرجع بما هو نص وأمر، ولكنه ليس مرجعًا سلطويًا وحسب، بل هو مرجع الدلالة وينبوع المعنى، به يجتهد الفكر وفيه يرتحل العقل».[8]

والواقع، إن اجتهاد القارئ/ الناقد وارتحاله بين شقوق وفجوات هذا النص- نص الوحي- يسمح بالدخول معه في مغامرة شاقة وشيقة في الآن نفسه، شاقة لأنها محفوفة بالمخاطر، فالمطلوب منه ألا يحيد عما أراده الشارع/ الله عز وجل وقصده، وشيقة لأن الألفة وقوة الإيمان تجعل ثمرة اللقاء بينه وبين هذا النص، هي الاندفاع لكشف المزيد من

أسراره وحقائقه، وتأكيد إعجازه وبيانه، وأنه من عنده عز وجل، وأن نصه قد جاء تبعا له في كماله وتمامه.

3.2 النص القر آني ودلالته بين الانغلاق والانفتاح:

بقي النص القرآني بالرغم من انفتاحه على مختلف العقول و الأفهام في النهاية، بعيدا كل البعد عن الضبط المنهجي، والقراءة المحدودة، هو نص غير قابل للاحتواء، نص تحدى الألباب والعقول على اختلاف الأزمنة وتباعد الأمكنة، إنه معجز بكلامه وبلاغته، ويمكن من خلال تفحص آياته، الوقوف عند أعقد الظواهر اللغوية التي حيّرت الألباب، «وهذا النص إن كان قطعيا فاصلا في مواضيع وفي أمور، إلا أنه يمكن قراءته قراءة إشكالية، لأنه يقدم من الحلول والأجوبة بقدر ما يثير من التساؤلات والإشكالات»[9].

إن خصوصيته المتميزة المتعالية، جعلته يحافظ باستمرار على وجود مسافة حيوية بينه وبين قارئه، مسافة من شأنها أن تمنح له الديمومة والصيرورة والحياة المتجددة، أجل كان بالإمكان أن تتحدد طريقة قراءته وفهمه على الوجه الأكمل واللازم منذ نزوله أو منذ حلوله محل الموجود اللساني على لسان باثه/ منشئه الأول، ولكن هذا ما لم يحدث، وهنا مكمن سرّه وإعجازه« ولاشك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس، لا تُبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن تطابق الحقائق وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار مابلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ماستبلغ إليه. »[10]. فالنص القرآني ببيانه وإعجازه، باختلافه وتفرّده، طرح في كل مرة أمام متلقيه إشكالية تأويله وفهمه، واستحالة استقصاء كل معانيه، ومن ثم،اختلفت طريقة قراءته وتنوّعت بحسب «المدارس الكلامية والمذاهب الفقهية، وبحسب الفروع العلمية والإختصاصات الفكرية، بل بحسب أشخاص العلماء أنفسهم، ولو كانوا على مذهب واحد، أو ينتمون إلى المدرسة الفكرية نفسها»[11]. وما هذا الاختلاف في محاولة فهمه والتعدّد والتنوع، إلا دلالة على قيمة هذا النص المختلف حوله، «إن تنوع إعجاز القرآن، وما يدل عليه من معارف وعلوم لايستوعبه علم عالم ولاجيل من العلماء، فهذه الإشارات من العلماء تمثل جواهر متناثرة، مستخرجة من كنز لاتنفد جواهره، ولاتنقضي عجائبه»[12]. فالنص واحدٌ،حقائقه ثابتة قارة عند خالقه، مختلفة متعددة لا متناهية، متحولة عند متلقّيه بفعل القراءة، أليست هذه دلالة على حيوية هذا النص وقصور القراءة البشرية التي تجد نفسها عاجزة ، ناقصة أمام كماله، الأمر الذي يسمح بوصفه

بالنص العصي/ المراود/المترحل عبر الأمكنة، المهاجر عبر الأزمنة «هو آيات بينات،والبيان أشدّ الكلام احتمالا لضروب التفاسير وأصناف التأويل، والآيات علامات فائضة، أي إشارات ورموز وعوالم دلالية فسيحة».[13]

إذاً، لا تخضع دلالة النص القرآني لمنطق المحدودية والثبات، بل تبقى منسابة متجددة متحررة، من هنا أمكن الحديث عن هذا النص بوصفه نصًا مختلفًا، منفتحًا أمام تعددية الدلالة ولانهائيتها، «هي الحقيقة القرآنية تفلت باستمرار، لأن النص أغنى، ولأن المجال أكثر اتساعًا، والمستوى أبعد غورًا، والمعنى أكثر تعدّدًا»[14] ويبقى البحث عن حقائقه وخباياه أمرًا أبديًا مستمرًا، تبعًا لأبدية مبدعه/ خالقه.

هكذا، يصل النص القرآني بسبب مصدره الإلهي، وخاصية الإعجاز فيه، إلى أعلى درجات الغنى الدلالي، ويفتح آفاقًا واسعةً لإيحاءات المعنى، إلى الحدّ الذي جعل "سهل بن عبد الله" يقول: «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن فهمًا، لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله وكلامه صفته، وبما أنه ليست لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه»[15].

إن، دلالة النص القرآني ليست منتهية ولا ساكنة، إنها دلالة مهاجرة في الزمن، حية متحركة، دلالة مؤجلة/ مرجأة، تبقى مخبأة في أغوار هذا النص الأبي / العصي، الأمر الذي جعله نصًا منفتحًا باستمرار قابلا للقراءة والتأويل.

4.2النص القرآني وقضية الانسجام والتجانس:

يحضر النص القرآني بصفته وحدة موحدة، لا تناقض بين دلالاتها ولا تعارض بين معانيها، «وقد كان الأصوليون وهم قراء النص الإسلامي بامتياز، من أكثر الفعاليات اهتماما بوحدة هذا النص، ودفاعا عن تماسكه وانسجامه، وأكثرهم دفعا لأي شبهة للتناقض أو الاختلاف يراد لها أن تُلصق به»[16]. إن هذه الوحدة على غزارتها وانسيابها المستمر الذي لا يعرف حدًّا ولا نهاية، نجدها تكشف في كل مرة عن انسجام وائتلاف عجيب، «إنها وحدة تتجلّى في التعدّد، أو ثمة تعدد ينحلّ في الوحدة، وأن التفكيك الظاهري فيه، يوازي نظامًا مختبأً».[17]

يكشف النص القرآني في مجمله، عن الانسجام والوحدة لا عن التضاد والاختلاف، وقد جاء هذا الأمر مقررا من عند الله سبحانه وتعالى، كما أشار إلى ذلك "الشافعي" في قوله: «إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن مبرءا عن الاختلاف والتضاد، ليجعل فيه كمال التدبر

والاعتبار، فقال سبحانه وتعالى:(**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)** [النساء،81]».[18] ، وعليه من يشكك في انسجامه ونظامه الموحد، إنما مردّ ذلك إلى الجهل وعدم إمعان النظر،وإلى انعدام حدوث الألفة بينه وبين النص القرآني، «وربما يتوهم القاصر النظر فيها (الآيات) الاختلاف، فكذلك الأعجمي الطبع، الذي يظن بنفسه العلم بما ينظر فيه وهو جاهل به».[19]

وقد أقر بعض العلماء ومنهم علماء الأصول، أن الشريعة قرآنا وحديثا، لا اختلاف بينهما أو فيهما، ولا تناقض«وكان حديثهم منذ نشأة علمهم عن وحدة النص القرآني مقترنا ومتلازما بحديثهم عن وحدة النص النبوي».[20] فهما يكشفان عن بنية موحدة، قائمة على مبدأ الانسجام، وعدم التعارض والتناقض.

هكذا إذن، كشفت خصوصية النص القرآني أن هذا الأخير،وإن كان يستجيب لحضور القارئ/ الناقد عبر كل الأزمنة، فهذا لا يعني أن كل قارئ يملك شرعية الاقتراب منه، فيخضعه لمنطلقاته وآليات قراءته وإجراءاتها، إنه نص الاختلاف والمغايرة بامتياز (ليس كمثله شيء).

وعليه لما كانت هذه حقيقة نص الوحي، والتي عبرت -بصورة أو بأخرى- عن خصوصيته وتفرده ومن ثم، كشفت عن بعض شروط قراءته وضوابطها، فماذا عن استراتيجية التفكيك بمقولاتها ومنطلقاتها ؟. وما خصوصيات النص بالمفهوم التفكيكي ياترى ؟.

3. استر اتيجية التفكيك ومقولاتها:

ستحاول الدراسة من خلال هذا العنصر، التعريف باستراتيجية التفكيك كتوجه فكري مابعد حداثي، مع التوقف عند أهم مقولاتها (الاختلاف -الحضور والغياب - مقولة اللامركز/إلغاء الأصل)،لتتم معرفة حقيقة النص بمفهومه التفكيكي.

1.3 ميلاد التفكيكية "dèconstruction": :

يرجع ميلاد التفكيكية الرسمي إلى زمن انعقاد ندوة نظمتها جامعة "جون هوبكنز" John Hopkins بالولايات المتحدة الأمريكية، في أكتوبر 1966، حول موضوع اللغات النقدية وعلوم الإنسان، ولقد شارك في هذه الندوة مجموعة من الأسماء البارزة في ميدان النقد المعاصر، أمثال "لوسيان غولدمانGoldman"Lucen "، "ورولان بارت" " Rolan

Barthes "، "تزفيتان تودروفTzvetan Todorov "، "جاك دريدJacquesDerrida "، "جاك لاكان" Jacques Lacan ".[21]

وبالرغم من أن الندوة تندرج في إطار البنيوية إلا أنها في حقيقة الأمر، تجاوزت حدود هذه الأخيرة-البنيوية- إلى ما بعد البنيوية، حيث قدمت هذه الندوة أبحاثًا تنسب كلية لتيار ما بعد البنيوية، «ويجمع جمهور من الباحثين على عدّ تلك الندوة بمنزلة البيان التفكيكي الأول، ومن الطريف أن تصاغ معالمه "ما بعد بنيوية" في ندوة بنيوية أصلا، وهو ما يعني مرة أخرى أن التفكيكية قد تخلقت في رحم البنيوية».[22]

وقد جاءت مداخلة "جاك دريدا" JacquesDerrida " ، التي شارك بها في هذه الندوة بعنوان "البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية"، وهذه المداخلة تُعدّ مدخلاً رئيسيًا لفهم فكر صاحبها، وقد نشرت بعد ذلك ضمن كتابه "الكتابة والاختلاف"، L'écriture et la différence"عام 1967 وهو التاريخ الفعلي لبروز التفكيكية.

2.3 التّفكيكية كتوجه فكري ما بعدحداثي:

ظهرت التفكيكية في النصف الثاني من القرن العشرين، بزعامة "جاك دريدا"، ويُعدّ هذا التوجه من أبرز الأحداث التي شهدها الفكر الغربي المعاصر في تلك الفترة، كونه من الأعمال «التي تضع تحت طائلة التساؤل والشك، مفاهيم كل من "الفلسفة" و"العمل" الفكري أو الفني والأدبي بمعناه الناجز والنهائي والمكتمل، "والحقيقة" كفهم جازم منغلق على ذاته»[23]، ونظر أصحاب التوجه التفكيكي إلى الوجود نظرة متفردة، تميزت بتمردها على قوانين العقل والوحدة والنظام، ورفضها لمختلف المبادئ العقائدية والايديولوجية والفلسفية والميثافيزيقية،«إن التفكيكية نشأت داخل الشك الجديد الذي خيم على العالم،الشك في المعرفة اليقينية، الشك في قدرات العقل، والشك النهائي في وجود مركز أي مركز، مرجعي، خارجي يعطي الأشياء شرعيتها، ويمكن اللغة من الدلالة»[24] .

استنادا إلى هذا، رفض "دريدا" «أيَّة سلطة خارجية موثوقة، قد تكون العقل أو الإنسان أو التقاليد أو الكينونة أو المقدس»[25]، هو في الحقيقة إعلان عن اللاوجود واللامفهوم واللامعنى (العدمية النشطة بتعبير نيتشه)، هكذا راحت التفكيكية تجسّد تمرّدها ضدّ المركز المقدّس/ اليقين/ الحقيقة، مؤكّدة على أنه من المستحيل، إعطاء شرعية الوجود المطلق/ النهائي لأيّ شيء مهما كان، معتمدة في ذلك على الشك في كل شيء.

3.3 مقولات استر اتيجية التفكيك:

لقد استمدَ المشروع التّفكيكي مشروعيته من بعض المقولات، التي توسل بها في قراءته وتفكيكه لكل ما هو راسخ/ ثابت، وهي مقولات من شأنها، أن تؤكد في النهاية، ما نادى به أصحاب هذا الاتجاه من إلغاء الأصل والأساس/اللامركز/اللامعنى/اللامفهوم/ اللامعرفة وهي تلخص في مجملها أهم منطلقاتها ومعظم حركياتها الأساسية الأخرى.

أ.مقولة الاختلاف "la différance":

تعد مقولة الاختلاف من أهم المقولات التي قامت عليها استراتيجية التفكيك، وكلمة الاختلاف "diffèrance" مثلها مثل كلمة "التفكيك" لا يمكن ضبطها أو تحديدها بمفهوم معيّن، ويصرح جاك دريدا قائلا: «إن هذه المفردة لاتمثل كلمة، ولامفهوما، وإنما تجمع سلسلة من المفهومات التي يتدخل كل واحد منها في لحظة حاسمة من العمل»[26] ، وهي «تظهر كنسيج دلالي متعدد ،هضم فيه دلالات مجموعة من المفردات ، فثمة " to differ" ويدل على المغايرة والاختلاف وعدم التشابه في الشكل و"to defer " هي مفردة لاتينية توحي بالتشتت والتفرق و "to défer " ويدل على التأجيل والتأخير والإرجاء والتعويق. »[27]، وفي نظرة إلى الاختلاف بوصفه مصطلحًا إجرائيًا بالنسبة لهذه الإستراتيجية وعلاقته بالنّصوص، تكشف منذ البداية عن تأجيل المعنى وإحالته إلى ما لا نهاية، بمعنى آخر؛ عدم الإقرار بوجود معنى محدّد للنص، أي معنى، فالاختلاف يمنح حرية القراءة اللامتناهية للنصوص، قراءة لا تُقرّ بمعنى معين للنص، لأن اللغة أصبحت تضطلع بدور حرّ، إنها متوالية لانهائية من اختلافات المعنى، ولا يمكن لأيّ دال أن يرتبط بمدلول معين، بصورة مطلقة، ولا وجود لمدلول مطلق أو متعالٍ بإمكانه أن يعطي معنى أو دلالة للأشياء، « فاللغة تندرج ضمن لعبة متنوعة للدوال، كما أن النص لا يحتوي على أيّ مدلول متفرّد ومطلق، ولا وجود لأيّ مدلول متعالٍ، ولا يرتبط الدّال بشكل مباشر بمدلول، بحيث أن لا شيء هناك سوى السلسلة الدالة، المحكومة بمبدأ اللامتناهي»،[28] وأصبح المعنى في أيّ نص-بهذا المفهوم- خاضعًا لاحتمالات وإحالات لا حسرة لها، هو خاضع للاختلاف والتأجيل الذي لا يسمح بإعطاء شرعية الوجود المطلق لأيّ معنى مهما كان، مما يعني؛ غياب المعنى أو بالأحرى لانهائية الدلالة.

ب. مقولة الحضوروالغياب:

تمثل مقولة "الحضور والغياب" _في الواقع _المجال المفتوح المتشعّب الذي ينشط فيه الاختلاف، ويبدأ في الاشتغال انطلاقا من ذلك، أي انطلاقا من فكرة الإرجاء والتأجيل التي تنطوي علىها مقولة "الاختلاف"، فالاختلاف يرتبط ارتباطًا وثيقًا بما نسميه الحضور والغياب، لما كانت تلك الأفكار والأشياء التي قد يُعطى لها حضورًا رمزيًا من خلال بعض العلامات والإشارات، لا يمكن الإمساك بها والتسليم بوجودها وحضورها النهائي/الواقعي، أي أنها تبقى دونما شك مؤجلة/ مرجأة، ليصبح بهذا «الربط البسيط بين فكرة تأجيل الإحالة وبين الغياب، هو ما تحققه العلامة اللغوية في الوقت نفسه الذي تظهر الشيء (الحضور)».[29]

إنَّ مجرّد استعمال علامة أو لفظ للإعلان عن شيء ما، سيكون في الوقت نفسه، إعلانًا عن غيابه واختفائه، وارتحاله الدائم، ويبقى الحضور الوحيد لذلك الشيء/ المدلول، مرتبطًا فقط «بالحضور الذاتي الذي يحضرنا حال الوهم والمخادعة والضلال على نحو مفاجئ، ليس ثمة حضور مادي للعلامة، ما يوجد لعبة الاختلاف حسب، فالاختلاف ينتهك العلامة و يجتاحها، محولا عملياتها إلى أثر وليس حضورًا ذاتيًا لها».[30]

يمكن القول انطلاقًا من هذا، لقد أصبحت الكتابة بالنسبة لاستراتيجية التفكيك فضاء للغياب والاختفاء، يحدث هذا طبعا بفقدان اللغة لوظائفها التعبيرية والإفهامية، والإبلاغية، وتحوّل العلامة اللغوية إلى وسيلة تحجب وراءها حقيقة الأشياء، وتعبّر عن جانبها الغائب، بعدما كانت في السابق ما هي إلا وساطة بين الكتابة والواقع وأشيائه، «فلم تكن العلامات أو الرموز اللغوية، تمثّل وسيطًا مصمتًا أو عائقًا أمام توصيل الأفكار والواقع والحقيقة»،[31] أما الآن -مع التفكيكية- لم يعد ينظر إلى الكتابة ولغتها إلا باعتبارها اختفاءا وغيابًا للحضور الطبيعي، إنّ الوجود الواقعي والفعلي هو اللاواقع/ اللامعقول/ اللاموجود، « وإنك في اللحظة التي يُخيَّل إليك فيها أن علامة / علامات ما تقودك إلى شيء خارج النص، تكتشف أنه لا وجود إلا لنص آخر ولعلامة/ علامات أخرى»،[32] إنّ الشيء أو المعنى لا يمكنه أن يتمتّع بحضور مطلق وفقط، إنَّه الحاضر والغائب في الآن نفسه « الشيء يمكن أن يكون حاضرًا وغير حاضر في الوقت نفسه، لذلك لا يوجد في أي نص أو خطاب معنى يتمتّع بحضور مطلق، وعليه فإن أي معنى تُسفر عنه أي قراءة لابد أن يكون في سلسلة من التوافقات الحاضرة والمرجأة».[33]

هكذا، تبقى ثنائية الحضور والغياب من أهم المفاتيح التي توسلت بها استراتيجية التفكيك، في قراءتها لمختلف النصوص والخطابات.

ج. مقولة اللامركز/ إلغاء الأصل:

لقد رفضت التفكيكية فكرة الأصل، وأعلنت تمردها، ضدّ كل سلطة أو مركز يحاول الظهور بصورة مستقرة/ ثابتة، إنها استراتيجية لا تجنح للثبات والسكون بقدر ما تجنح للتغيير والتحول، ونجد "دريدا Derrida" يدعو إلى «ضرورة التفكير بعدم وجود مركز، فالمركز لا يمكن لمسه في شكل الوجود، بل ليس له خاصية مكانية، كما أنه ليس مثبتًا موضوعيًا بل وظيفيًا، إنه نوع من اللامكان، وبغيابه أو تقويضه يُحوّل كل شيء إلى خطاب أو تذوب الدلالة المركزية المفترضة أو المتعالية».[34]

عمل "دريدا" "Derrida "بهذه الصورة، على اقتحام سكونية كل مركز مهما كان (عقائديًا، إديولوجيًا، ذكوريًا، سياسيًا، لغويًا) مؤكدًا على ضرورة خلخلة هذه المراكز وتفكيكها، فالمركز لا يمكنه أن يكتسب صفة الوجود، كما لا يمكنه أن يتحوّل إلى سلطة لها خطابها الخاص، والذي تحاول من خلاله أن تفرض وجودها، وتمارس سيطرتها على الوجود وموجوداته.

لقد عمد "دريدا Derrida "إلى تقويض كل المراكز التي انبنى عليها الفكر الغربي، وثار على المقولات المركزية الكبرى، لاسيما مقولة العقل / اللوغوس، الميثافيزيقا، مفهوم التاريخ، فكرة الهوية والخصوصية وغيرها من المقولات.

4.3 النص بالمفهوم التفكيكي:

لقد أصبح النص بالمفهوم التفكيكي ، نصًّا دائم الترحل،«هو فسحة كلامية متجددة واحتمال لايتوقف عن التأويل ».[35] نص منفتح أمام عدد لا متناهٍ من القراءات والتأويلات، لايُسلّم نفسه في نهاية قراءته لمعنى أو دلالة معينة، يمكنها أن تظهر كحقيقة من حقائقه المثبتة، هو نص اللافهم واللامعرفة، وقد كانت غاية دريدا « تأسيس ممارسة فلسفية أكثر منها نقدية، تتحدى تلك النصوص التي تبدو كأنها مرتبطة بمدلول محدد ونهائي وصريح، إنه لايريد تحدي معنى النص فحسب، بل يطمح إلى تحدي ميثافيزيقا الحضور الوثيقة الصلة بمفهوم التأويل القائم على وجود مدلول نهائي ».[36]، هكذا أصبح النص مع التفكيكية يمتاز بالسيولة والكثافة الدلالية، « هو آلة تنتج سلسلة من الإحالات اللامتناهية».[37] ويرجع ذلك إلى التسليم بعدم وجود المرجع، الذي يمكن من خلاله إحالة دلالة النص إلى معنى محدد،

كما يعود أيضا، إلى الاختلاف الذي ينص على إرجاء المعنى أو الدلالة إلى مالا نهاية، بحيث كلما تمَّ الوصول إلى معنى ما، بعث هذا المعنى بدوره نوعًا من التوتّر والتناقض، ليتحول حضوره إلى غياب مستمرّ في سلسلة من الإحالات، إنه نص التفكك واللاانسجام، ومن المستحيل إدراكه بوصفه كلاًّ منسجمًا.

4. النص القرآني في حضرة استراتيجية التفكيك :

بعد أن توقفنا عند خصوصية كل من النص القرآني والنص بالمفهوم التفكيكي، ترى هل سنحكم لاستراتيجية التفكيك بشرعية الاقتراب من هذا النص المقدس/نص الوحي أو باللاشرعية، في الواقع نترك النتائج والاستنتاجات التي أفضت إليها الدراسة هي التي تفصل وتحكم.

1.4نهائية الدلالة(الحضور)/ لانهائيتها(الغياب):

إنّ النص القرآني هو نص الاختلاف والمغايرة، أليس هو ينبوع الدلالة ومرجعها، حيث تبقى إلى جانب دلالاته الحاضرة المعلنة، هناك دوما دلالة مرجأة/ غائبة، ويبقى السعي لكشفها والوصول إليها مستمرا، على اعتبار أنها حقائق كائنة/ ثابتة، وموجودة بصورة أو بأخرى، إن هذا النص «يتأبى بسبب طبيعته غير البشرية عن كل محاولة لإغلاقه وسجن الأنوار الساطعة منه، حتى لو كان ذلك تحت شعار حمايته وضبط عملية تأويله، لأن ذلك سيكون ضد رغبته، ومعاكسًا لمقصد أساسي من مقاصده المتمثلة في قدرته على الإقناع المستمر والمؤبد »[38]. والقول بأن النص القرآني، «قابل للقراءة على الدوام، وقابل من ثم للشرح والتأويل، يتضمن فكرة مفادها، أن البنية الداخلية لهذاالنص تتمتع بدرجة هائلة من الخصوبة والغنى، تنفي إمكانية الإدعاء في أية لحظة، بأن هذا النص قد استنفد محتواه أو تمت الإحاطة به معرفيًا».[39]

تبقى معانيه ودلالاته إذن، هي الموجودة والغائبة في الآن نفسه، وقد أشار الشيخ الطاهر ابن عاشور إلى ذلك في قوله: « إن السلف قالوا: إن القرآن لاتنقضي عجائبه، يعنون معانيه».[40] أليست هذه ثنائية الحضور والغياب تتجلى أمامنا، وفيما نعتقد أن صورة الغياب هذه (الدلالة المرجأة) ما هي إلا علامة على جلالة المرسل(الله عز وجل)، وإشارة إلى تفلت الخطاب من كل قيد أو ضابط، فالحضور هو قتل للخطاب ولجماليته وحيويته ولمعانيه، ونصه هو نص حي مستمر مدى الحياة، وفي مقابل هذا، يحضر النص مع التفكيك بصفته نص الاختلاف والمغايرة أيضا، ومن ثم تبقى الدلالة مرجأة، معلقة في

سلسلة لامتناهية من الاختلافات،«إن تنازع القراءات فيما بينها للخطاب، يفضي إلى متوالية لانهائية من المدلولات، لايمكن لأحدها أن يستأثر بالاهتمام الكلي دون الاخر».[41]،فلا معنى ولا دلالة يمكنها أن تعطي شرعية الوجود الفعلي لهذا النص، لا معنى يمكنه أن يكون حاضرًا وفقط، بل هو الحاضر والغائب في الآن نفسه، وهذا لانعدام المرجع، فلاشيء خارج اللغة، أو خارج النص، الموجود هو اللامعنى واللاحقيقة، وما نصل إليه- من خلال هذا- باختصار هو أن النص القرآني يدخل في سلسلة متناهية ولا متناهية من اختلافات المعنى، في حين يدخل النص مع القراءة التفكيكية في سلسلة لا متناهية فقط من اختلافات المعنى(لانهائية الدلالة فقط)، ومن هنا، نلاحظ كيف أن النص القرآني استوعب مقولة لانهائية الدلالة التي أقرتها استراتيجية التفكيك وتجاوزها في الآن نفسه، فقال بنهائية الدلالة أيضا، (النص القرآني نهائية الدلالة ولا نهائيتها معا)، لقد استوعب النص القرآني مقولة الحضور والغياب والاختلاف بطريقة بارعة وبشكل متفرد، يسمح له بأن يبقى نصًّا تشريعيًا له مقاصده وغاياته، له حقائقه، وثوابته التي تؤكّد على وجود الله عز وجلّ، وتؤكد على الأصل والمرجع الرباني لهذا الكون، وعليه، فإن هذا النص يبقى بخصوصيته وتعاليه يؤدي وظيفة الإبلاغ.

2.4 الفهم (المعرفة)/ اللافهم(اللامعرفة) :

تحقق قراءة النص القرآني الفهم والإدراك لبعض المقاصد(حقائق مثبة قارة)، موجودة بصورة أو بأخرى، ومن هذه الحقائق المعلنة المثبة، نشير إلى حقيقة نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قال الله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) [الرعد،38]، وقال عز وجل:(وَكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)[الشورى،5]، فحقيقة نزول القرآن بلسان عربي لايستطيع مؤول أو قارئ أن يخالفها أو يشكك في صحتها، لأن مشروعية هذه الحقيقة مأخودة من داخل النص القرآني نفسه، والحجة على ذلك موجودة في كثير من آياته، وليس من الصعب على القارئ أن يفهم هذه الحقيقة ويعلنها، والواقع إن « معقولية الخطاب الشرعي، تستلزم أن يخاطب الله عز وجل عباده وهو يقصد إفهامهم، فالإفهام تبعًا لذلك، مقصد إلهي ينبغي تجليه وترقيته حتى يصبح من المقاصد الأساسية».[42]،وعلى كثرة الحقائق المعلنة المثبة في نص الوحي، يبقى الرضى باللافهم واللاعلم للكثير من حقائقه الخفية قائمًا (حقائق غائبة يبقى السعي للوصول إليها قائمًا)، «إن إيقاف عملية تأويله أو الدعوة إليها تحت أي مُسمى كان، مَسٌّ بأحد أهم خصائصه المتمثلة

في كونه معجزة باقية خالدة ».[43]وعليه، يبقى النص القرآني نص الفهم واللافهم في الآن نفسه، أما القراء التفكيكية فهي قراءة ترضى أو تسلم فقط باللافهم واللاعلم(الحقيقة دائما غائبة من المستحيل الوصول إليها)، ليبقى النص في حضرتها، نص اللافهم فقط، «إن ما يواجهه التفكيك بالأصالة، هو زيف الاعتقاد بالماهية الثابتة أو المعنى النهائي الذي تم إنجازه، ومن ثمة، فهو ممارسة تقوم على تحطيم الافتراض الساذج بأن النص يمتلك معنى».[44] إنها لا تقرّ مطلقًا بتحقق الفهم أو المعرفة حول نص من النصوص، وكما يقول "جاك دريدا ": « فماذا يمكن أن نفهم من نص لايفهم هو نفسه، نفسه ؟.».[45] ، إذن لقد استوعب النص القرآني معنى اللافهم واللاعلم الذي أقرته التفكيكية وتجاوزه في الآن نفسه، فكان نص الفهم واللافهم بامتياز، في حين النص مع التفكيكية هو نص اللافهم فقط.

3.4 ولادة النص(قداستة)/موت المؤلف(تدنيسه هو ومقاصده):

يحقق النص القرآني الفهم لمقاصد الله عز وجل،« وقد استجاب القارئ لها من أجل الوصول إلى مقصود الشارع الحكيم، صاحب الخطاب والمتكلم به، والذي لانعرفه إلا من خلال النص.».[46] بحيث يمكن أن نمسك في النص بالدلالات والمعاني الدالة على وجوده وحضوره وأبديته، « بمعنى أن الله سبحانه وتعالى المتكلم بالقرآن لا يتجلى عند القارئ إلا في النص وضمنه.».[47] كما يمكن أن تفلت منا بعض معانيه وحقائقه والتي تؤكّد بصورة أو بأخرى، على حيوية هذا النص وديمومته، وهذا يجر إلى القول، إن صاحب النص/ الله عز وجل ومقاصده، تبقى مقدسة موجودة إلى جانب قدسية هذا النص وسلطته، باعتباره نصًا قابلًا للقراءة على مرّ العصور، أما مع القراءة التفكيكية نجد النص لايؤمن بأي مرجع مهما كان، هو مجرد «حلقة من سلسلة متواصلة من الدالات غير المقترنة بمرجع ».[48]،وتبعًا لهذا نجد صاحب النص مستبعدًا ومقاصده مدنسة، في حين يحتلّ كلاً من النص والقارئ مرتبة القداسة، هو النص اللقيط إن صح التعبير، لا سلطة أبوية يمكن أن تمارس عليه،« إن النص التفكيكي لا أصل له ولانهاية ».[49]، إذن تقديس طرف (ولادة النص) على حساب تدنيس طرف آخر (موت المؤلف) في حين يختلف النص القرآني في ذلك، إنه لا يضمن قداسة النص وحسب، إنما يضمن قداسة هذا الأخير، إلى جانب الاحتفاظ بقداسة صاحبه ومقاصده (إذن استوعب النص القرآني مفهوم ولادة النص/ قداسة النص وتجاوزه بحيث يحافظ إلى جانب ذلك، على قداسة مبدعه /الله سبحانه وتعالى ومقاصده).هكذا جمع

بينهما، وهو ما لم تستطعه التفكيكية، فإعلانها عن ولادة النص وتقديسه كان على حساب موت المؤلف وتدنيس مقاصده.

4.4 الانسجام/ اللاانسجام :

يمكن أن نلفت الانتباه -زيادة على هذا- إلى أمر آخر، يتعلّق بقضية الانسجام واللاانسجام، ونبدأ مع القراءة التفكيكية، التي ترفض الاعتراف بوجود معنى محدد ونهائي للنّص، وعدم الإقرار بدلالة ثابتة/ قارة للنص، يستدعي ضرورة جعل هذا الأخير، يكشف دومًا عن التعارض والتناقض، فكل حضور للمعنى لابد أن يتحول إلى غياب، ولا يمكن لأي معنى أن يكتسب صفة الحقيقة القارة الثابتة، يقول جاك دريدا: «أنا لا أتعامل والنص أي نص كمجموع متجانس، ليس هناك نص متجانس، هناك في كل نص، حتى في النصوص الميثافيزيقية الأكثر تقليدية، قوى عمل هي في الوقت نفسه، قوى تفكيك للنص، هناك دائما إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه، مايساعد على استنطاقه، وجعله يتفكك بفسه ».[50] النص التفكيكي نص التعدد والتنوع والاختلاف والثراء الدلالي، وفي الآن نفسه، هو نص اللاانسجام والتفكّك والتشظي والتشتت والتعارض واللامعنى، وعليه هو في النهاية «ليس بيانًا بالحقيقة بقدر ماهو ساحة للتباين والتعارض».[51]، ومردّ ذلك، هو إلغاء الأصل/ المرجع، هذا عن النص التفكيكي، أما بالنسبة للنص القرآني، فهو نص الوحدة والتماسك والانسجام، يقول ابن حزم: « قال الله تعالى مؤكدا وحدة نصه نافيا الإختلاف والتعارض عنه :(**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) [النساء،81] فصح بهذه الآية، أن كلام الله تعالى لايتعارض ولايختلف ».[52]، فالثابت إذن، وكما شهد الله تعالى، أن نص الوحي وحدة واحدة، لا تناقض ولا اختلاف فيها، تَعدد ينحلّ في النهاية إلى وحدة واحدة، لا تعارض بين معاني نص الوحي ودلالاته، يقول الشاطبي: «إن معاني القرآن، على كثرتها أو على تكرارها بحسب مقتضيات الاحوال على حفظ وبلوغ غاية إلى غايتها، من غير إخلال بشيء منها، ولا تضاد، ولا تعارض ».[53]،ونشير في هذا الصدد إلى الدراسة التطبيقية الرائدة التي أجراها الشاطبي حول "سورة المؤمنين" التي تحوي مائة وتسع عشرة آية، مبرزًا في النهاية، أن التفكك الظاهري والتنوع والثراء الذي تميزت به هذه السورة، نتيجة تعدد الموضوعات التي تطرقت لها _حديث عن المؤمنين وصفاتهم، حديث عن خلق الإنسان وعن السموات والأرض، حديث عن يوم القيامة والأمم السابقة_ يكشف في الباطن عن ائتلاف وانسجام ليس بعده انسجام،حيث يقول متحدثا عن التماسك الذي

تكشفة بنيتها العميقة: « وإن اشتملت على معان كثيرة، فهي الأخرى نازلة في قضية واحدة».[54]، إذن هو نص التعدد والتنوع والاختلاف والثراء المعرفي والدلالي، ولكنه في الآن نفسه، هو نص الوحدة والاتفاق والائتلاف والانسجام.

إن قراءة النص القرآني يكون هدفها تثبيت معانيه أو بعضها، لإدراك هذا النص ككل منسجم، يكشف هذا الكل المنسجم، أن النص من عنده عز وجل وحده، وهو مبرأ من التناقض والتعارض والتفكك والتضاد كما أعلن عن ذلك، لقد جاء تامًا/ كاملًا منزهًا تبعًا لتمامه وكماله، ومن ثم، يحضر بصفته نص الاختلاف والمغايرة، وفي الآن نفسه نص الانسجام والائتلاف(تعدد واختلاف يؤول في النهاية إلى وحدة وانسجام و تعارض ظاهري ينحل إلى ائتلاف واتفاق) ،في حين يتحول الانسجام الظاهري للنص مع التفكيكية في -النهاية إلي تناقض وتعارض وتفكك ولاانسجام.

5.الخاتمة:

لقد قادالنظر في جوانب المشكلة المطروحة، وتحليل أبعادها إلى جملة من النتائج هي:

1 - يتعالى النص القرآني على القراءة التفكيكية بمفهوم "جاك دريدا" ،لأنه يتعارض مع فلسفة الشك القائمة على العدمية والنسبية المطلقة، والرفض لما هو ثابت ويقيني، إنه يتجاوز القراءات العدمية التي ترفض الاعتراف بمرجعية النصوص ومقصديتها.

2- حضر النص القرآني بصفته نصًا مستوعبًا لمفاهيم استراتيجية التفكيك ومقولاتها، ومتجاوزًا لها بنوع من البراعة، أكدت بدورها على براعته و تفرّده ،وهذا مايلفت الانتباه إلى قضية هامة، تتمثل في أن استقراء خطاب التفسير القرآني التراثي، وقراءته قراءة دقيقة، من المحتمل جدًا، أن تكشف عن وجود ملامح تفكيك قد تكون مختلفة، تهدف إلى إعادة بناء النص بدل هدمه وتقويضه، وهذا مايدفعنا أيضا للتساءل عن تجارب المفكرين العرب، نصر حامد زيد، علي حرب وغيرهم ممن استثمروا الجهاز المفاهيمي التفكيكي في تأويلهم للنص القرآني .هل كانت صورة التفكيك عندهم وهم يؤولون هذا النص مخالفة لصورة التفكيك الدريدي بما يحفظ قدسية نص الوحي وتعاليه؟.

3- جمع النص القرآني بين مقولات استراتيجة التفكيك ونقيضها في صورة فائقة البراعة والإقناع والمعقولية، فكان (نص الانسجام والائتلاف، نص المعنى والفهم ونهائية الدلالة، هو نص الحضور (الدلالة القارة الثابتة) ،كما أنه نص الغياب (الدلالة المرجأة) أيضا، قدسية النص وديمومته إلى جانب قدسية صاحبه ومقاصده، حضور /المؤلف /الله/

المركز ليس ضد ولادة النص ، فالله عز وجل كتابه ومقاصده ظهرت باعتبارها مركزا مقدّسا متعاليا).

3- أكّد هذا النص -النص القرآني- في كلّ مرة بأنه نص يُخضِع ولا يَخضَع، هو منتج للثقافة وليس نتاجًا لها، فيه علم الأولين والآخرين، بمعنى آخر؛ هو النص الذي استوعب ثقافة الإنسانية جمعاء، عبر كل الأمكنة والأزمنة، وهو من يصنعها ويؤثر فيها، بل ويتجاوزها إلى ما لم تقله بعد، وما لم تفكر فيه.

4- وبناءً عليه، بدلا من الحديث عن إمكانية انفتاح نص الوحي/ نص التنزيل أمام استراتيجة التفكيك ومقولاتها، والتساؤل عن وجود نقاط اتفاق واختلاف بينهما أو عدم وجودها، سنتحدث في الحقيقة عن قصور وعجز بشري أمام كمال وقدرة إلهية، فشتّان بين نص أبدعه/ أنشأه الله عزّ وجلّ وبين نص (قراءة) أبدعها الإنسان، هذه الأخيرة، التي كشفت في كل مرة عن محدوديتها وقصورها أمام نصّه عز وجل.

5- إن كل قراءة تحاول أن تسير في الطريق الصواب في قراءتها لهذا النص، لابد أن تقرأه بعيدا عن الحسبان و بعيدا عن التصنيفات المنهجية والفكرية والايديولوجية، وتأخذ في الاعتبار بخصوصية هذا النص، إن كماله وقداسته واختلافه وتميزه، هي أمور جعلته لا يَخضع لأية قراءة تحاول أن تضبطه، أو تجعله يتوافق وتوجهاتها ومنطلقاتها، فهذا مطلب مستحيل.

مراجع البحث وإحالاته:

1- يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2007، ص516.

2- المرجع نفسه، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص256.

4- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 76/4.

5- المرجع نفسه، ص 65/2.

6- يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ص485.

7- المرجع نفسه، ص477_478.

8- علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2001، ص 14.

9- علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000، ص43.

10- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط؟، 1984، ص44/1.

11- علي حرب، نقد الحقيقة، ص45.

12-محمد عابد الرشدان، حول النظام المعرفي في القرآن الكريم، مجلة اسلامية، المعرفة، ع10، 1997، ص23 .

13- علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، ص 18.

14-علي حرب، نقد الحقيقة، ص44.

15- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1980، ص1/9

16- يحي رمضان القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والأصول، ص221.

17- جاك بيرك، القرآن وعلم القراءة، تر: منذر عياشي، دار التنوير ومركز الإنماء الحضاري، ط1، 1996، ص 32.

18- أبو إسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، تح: سليم بن عبيد الهلالي، دار ابن عفان، ط1، 1997، 819/818 (نقلا عن يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، ص 228.

19- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، ص 22/3.

20-يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ص231.

21- ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 341.

22- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

23- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، بيروت، دط، دت، ص23.

24- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة (نحو نظرية عربية نقدية)، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 128.

25- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

26- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، ص53.

27- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية (إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ؟، 1997، ص 117.

28- امبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 2000، ص 124.

29- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة (نحو نظرية عربية نقدية)، ص 129.

30- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية (إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، ص 317.

31- عبد العزيز حمودةالمرايا المقعرة (نحو نظرية نقدية عربية)، ص 130.

32- المرجع نفسه، ص 133.

33- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، دط، 2003، ص 112.

34- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية (إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، ص 315.

35- علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، ص12.

36- امبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ص 124.

37- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

38-يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ص506.

39- نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص 263.

40_محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص45/1.

41- عبد الله إبراهيم، التفكيك، الأصول والمقولات، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص 44_45.

42- يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ص182.

43-محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص45/1 .

44-محمد أحمد العشيري، الاتجاهات الأدبية النقدية الحديثة (دليل الناقد الأدبي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2008، ص125.

45- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، ص49.

46- يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ص205.

47-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

48-عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر(مدخل إلى الاتجاهات النقدية الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1996، ص130.

49-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

50- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، ص31_32.

51- علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، ص8.

52_ ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام، تح محمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة، ط1، 1998 ص19/11.

53- أبو إسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، تح: سليم بن عبيد الهلالي، ط1، 2 /819/818 (نقلا عن يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، ص226.)

54- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، ص311/3

قائمة مراجع البحث :

1. إبراهيم عبد الله، التفكيك، الأصول والمقولات الغربية، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990.
2. .إبراهيم عبد الله، المركزية الغربية (إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، ط ؟، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997.
3. إبراهيم عبد الله وأخرون، معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1996.
4. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: محمود حامد عثمان، ط1، دار الحديث القاهرة، 1998.
5. . ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ط؟، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1984.
6. ايكو امبرتو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000
7. بيرك جاك، القرآن وعلم القراءة، تر: منذر عياشي، ط1، دار التنوير ومركز الإنماء الحضاري، 1996.
8. حامد نصر أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
9. حرب علي، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2001.
10. حرب علي، الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة)، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
11. حرب علي، نقد الحقيقة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000.
12. حمودة عبد العزيز، المرايا المقعرة (نحو نظرية عربية نقدية)، عالم المعرفة، الكويت، 2001.
13. خليل إبراهيم محمود، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دط، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2003
14. دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، ط ؟، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، بيروت، دت؟.
15. رمضان يحى، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، ط1، جدار للكتاب العالمي، عمان، 2007.

16. الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1980.
17. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت
18. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، تح: سليم بن عبيد الهلالي، ط1، دار ابن عفان، 1997.
19. عابدمحمد الرشدان، حول النظام المعرفي في القرآن الكريم، مجلة إسلامية، المعرفة، ع199710 .
20. العشيري محمود أحمد، الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، ط2، مريت للنشر والمعلومات، 2003.
21. وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2008